(القلبُ التركيبيّ) في اللغة العربيّة
دراسة تركيبيّة دلاليّة

أ.م.د. زانا شاباز كريم

أستاذ مساعد

Zana.mustafa@univsul.edu.iq

تأريخ أستلام البحث: ٢٠٢٥/٣/١٨ **تأريخ موافقة النشر: ٢٠٢٥/٤/٣٠**

الملخص:

هذا البحثُ محاولةٌ لِدراسةِ ظاهرةٍ تركيبيّةٍ في اللغةِ العربيّةِ تتمثَّلُ في قلبِ الوظائفِ النحويّةِ بينَ عناصرِ التركيب، كجَعلِ الفاعلِ أو نائبِ الفاعلِ مفعولاً، وجَعلِ المفعولِ فاعلاً أو نائبَ فاعِلٍ، أو جَعلِ الفاعلِ في المعنى اسماً مجروراً، وجعلِ المجرورِ فاعلاً. ودفعَ هذا الباحثَ إلى أنْ يُسمّي الظاهرةَ (القلبَ التركيبيّ).

يَعمَلُ البحثُ على إبرازِ هذهِ الظاهرةِ اللغويّة في اللغة العربيّة في ضوءِ الشواهدِ الشعريّة والأمثلةِ المختلفةِ التي ساقها علماءُ المعجمِ والنحويّون في مدوَّناتِهم. يُحلِّلُ البحثُ هذهِ الظاهرةَ تركيبيّاً، و يُحاوِلُ كشفَ الأسبابِ الكامنةِ وراءَ وجودِها في اللغة العربيّة.

مقدّمة:

الحمدُ للّهِ الذي هيَّأ لنا الفرصةَ لإنجازِ هذا العملِ، والصلاةُ والسلامُ على سيّدنا محمدٍ الذي بُعِثَ لِيُتمِّمَ مكارم الأخلاق.

أمّا بعدُ:

فإنّ اللغةَ بوتقةٌ تنصهِرُ فيها الأفكارُ والمشاعرُ والمقاصدُ المختلفةُ، وتختلفُ أساليبُ التعبيرِ في اللغةِ باختلافِ تلك الأفكارِ والمقاصدِ، ولأجلِ الوصولِ إلى فهمٍ دقيقٍ للأفكارِ والمقاصدِ نلجأُ إلى التحليلِ العلميّ للظواهرِ اللغويّةِ المختلفةِ، إذ إنّ اللغةَ هي القالَبُ الذي تُوضَعُ فيه المعاني.

لقد جاءَ هذا البحثُ لدراسةِ ظاهرةٍ لغويّةٍ موجودةٍ في اللغةِ العربيّةِ دراسةً وصفيّةً تحليليّةً تبدأُ بِوصفِ الظاهرةِ، و تنتهي بتحليلها وكشفِ الدوافعِ والمقاصدِ الكامنةِ وراءَها. وهذهِ الظاهرةُ عبارةٌ عن قلبِ الوظائفِ النحويّةِ للمفرداتِ داخلَ التراكيبِ الكلاميّةِ، ففي شواهدَ ونصوصٍ متنوّعة ساقَها العلماءُ والدارسون وجدَ الباحثُ متكلِّمَ اللغةِ يجعلُ الفاعلَ أو نائبَ الفاعلِ مفعولاً، ويجعلُ المفعولَ فاعلاً أو نائبَ فاعلٍ، أو يجعلُ المجرورَ مرفوعاً، ويجعلُ المرفوعَ مجروراً. ففي إطارِ البحثِ والتتبُّعِ والاستقراءِ وجدَ الباحثُ تنوُّعاً في هذهِ الظاهرةِ، و هذا التنوُّعُ جعلَ البحثَ يتوزَّعُ بين الفاعليّةِ والمفعوليّة، وبينَ ما يكونُ مرفوعاً و ما يكونُ منصوباً أو مجروراً. وهذا الأمرُ فرضَ على الباحثِ إخراجَ البحثِ بعنوان (القلب التركيبيّ في اللغة العربية- دراسة تركيبيّة دلاليّة).

الهدفُ مِن دراسةِ هذهِ الظاهرةِ هو وصفُها وتحليلُها وبيانُ دلالاتِ التراكيبِ التي وقعتْ فيها، مع محاولةِ كشف أسبابِ وقوعها في اللغة العربية، مِن أجل تحقيقِ هذا الهدفِ، وُزِّعَ البحثُ على مبحثينِ، أوّلُهُما نظريّ يتمثَّلُ في التعريفِ بلفظِ (القلب) و (التركيب) لغةً، و محاولةِ إيجادِ تعريفٍ اصطلاحيّ لظاهرة (القلب التركيبيّ) في متونِ المعجماتِ والمصادرِ المختلفة. واقتضت طبيعةُ الدراسةِ الرجوعَ إلى معجماتِ الألفاظ والمعاني وكتبِ اللغةِ وكتبِ النحو ودواوين الشعرِ وكتبِ الأدب.

تجسَّدتْ صعوبةُ هذه الدراسةِ في كونِ الظاهرةِ المدروسةِ مشتَّتةً في طيّاتِ المؤلَّفاتِ المختلفةِ وغيرَ مجموعةٍ في موضوعٍ واحدٍ، إلى جانبِ كونِ الموضوعِ غيرَ مدروسٍ من قبلُ. و يكفي الباحثَ أنّه حاوَلَ أنْ يُضيفَ شيئاً ينتفعُ به أهلُ العربيّة، ولا يدّعي أنّه وُفِّقَ في عملهِ هذا، وما يرجو التوفيقُ مِن اللهِ عزَّ وجلَّ.

المبحث الأوّل: مهاد نظريّ:

أوّلاً: تعريف القلب والتركيب لغةً:

أ) القلب لغةً:

من المعلوم أنّ لفظ (القلب) وما يُشتقّ منه في العربية كثير الورود في المعجم العربي، وكلّ دلالات هذا اللفظ ومشتقّاته تحوم حول معنيينِ، فـ"القاف والباء واللام أصلان صَحِيحَانِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى خَالِصِ شَيْءٍ وَشَرِيفِهِ، وَالْآخَرُ عَلَى رَدِّ شَيْءٍ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ. " (ابن فارس: 1979، 17/5)، وما يخصّ بحثنا الأصل الثاني لكونه مرتبطاً بالمعنى الذي نحن بصدده، يقال: "قَلَبْتُ الشيءَ فانْقَلَبَ أي انْكَبَّ، وقَلَّبْتُه بِيَدِي تَقْلِيباً" (ابن منظور: 1414، 688/1) فـ: "القلبُ تحويلُك الشيءَ عن وجهه، وكلامٌ مقلوبٌ"(الفراهيدي: 171/5)، وقد تداخل الأصلان من جهة المعنى حتّى قيل "وسمِّيَ القلبُ قلباً لتقلبهِ" (الأزهري: 2001، 143/9).

ب) التركيب لغةً:

التركيب مصدر الفعل ركَّب، وأصله الثلاثيّ (ركب)، "الرَّاءُ وَالْكَافُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ مُنْقَاسٌ، وَهُوَ عُلُوُّ شَيْءٍ شَيْئًا." (ابن فارس: 1979، 432/2)وتقول في تركيب الفَصّ في الخاتَمِ والنَّصْلِ في السَهْمِ: رَكَّبْتُهُ فَتَرَكَّبَ، فهو مُرَكَّبٌ ورَكيبٌ. (الجوهريّ: 1987، 139/1).

وذُكر في شرح المفصّل ما يخصّ التركيب في الكلام، فقال صاحبه: "التركيبُ على ضربينِ تركيب إفرادٍ و تركيب إسنادٍ. فتركيب الإفراد أنْ تأتي بكلمتينِ فتركّبهما و تجمعهما كلمةً واحدة بإزاء حقيقة واحدة بعد أنْ كانتا بإزاء حقيقتينِ و هو من قبيل النقل و يكون في الأعلام نحو معدي كرب... و تركيب الإسناد أنْ تركّب كلمةً مع كلمةٍ تنسب إحداهما إلى الأخرى." (ابن يعيش: بلا ت، 20/1.)

ثانياً: القلب التركيبي:

كان علماء اللغة على دراية بوجود هذه الظاهرة في كلام العرب فقالوا (كلام مقلوب) كما نقلنا عنهم، وذُكِرَ في كتاب الصاحبيّ في فقه اللغة أنّ هذا النوعَ مِن القلبِ يكونُ في القصَّةِ، (ابن فارس: 1997، 153) أي في الكلام، وقد ذكر سيبويه هذه الظاهرةَ في الباب الذي سمَّاه (بابٌ جرى مجرى الفاعل الذى يتعداه فعلُه إلى مفعولين في اللفظ لا في المعنى) وقال فيه عن القلبِ في أكثرَ مِن مَوضِعٍ: " وأمّا قوله: أُدْخِلَ فُوهُ الحَجَرَ، فهذا جرى على سَعة الكلام".(1988، 175/1-181)، وكلامُ سيبويه يدلّ على قِدمِ هذه الظاهرة في كلامِ العربِ، ويدلّ أيضاً على أنّ علماءَ العربيّةِ قد كانوا على عِلمٍ بها ورصدوها وشرحوها في مُدوَّناتِهم.

عرَّف صاحبُ كشّاف اصطلاحات الفنونِ والعلوم القلبَ بقولِه: "هو حَملُ أحدِ أجزاءِ الكلامِ مكانَ الآخَرِ والآخَرِ مكانَه، ولا يُنتقَضُ بقولِنا: في الدارِ زيدٌ، وضَرَبَ عَمراً زيدٌ، لأنّ المرادَ بالجعلِ مكانَ الآخَرِ أنْ يُجعَلَ مُتّصِفاً بِصفتِه لا مُجردَ أنْ يُوضَعَ مَوضعَه". (التهاوني: 1996، 1336/2-1337). يتَّضِحُ من هذا التعريفِ أنّ القلبَ يُقصَدُ به إعطاءُ حكمِ لفظٍ للفظٍ آخَرَ، وإعطاءُ حكمِ اللفظ الآخر للفظِ، والمقصودُ بالحكمِ هو الحكمُ الإعرابي داخلَ التركيبِ، فيتحقّقُ القلبُ في الكلامِ بـ"أنْ يجريَ حكمُ أحدِ جزأي الكلامِ على الآخَرِ. (الحنفي: بلا ت، 703).

فالقلب كان ظاهرة منتشرة في الكلام، لذلك عدّه الحريري من سنن العرب في كلامها فقال: "وقلب الْكَلَام من سنَن الْعَرَب المأثورة وتصاريف لغاتها الْمَشْهُورَة (الحريري: 1998 ،11، مطلوب والرفاعي: 1980، 256). وكأنّ هذه الظاهرةَ عادّةٌ تُمارِسُها العربُ في كلامِها منذُ القديمِ. وذكر ابن السراج أنّ القلب "وضع الكلام في غير موضعه وتغيير نضده، أحسنُ ذلك قلب الكلام إذا لم يُشكل".(ابن السراج: بلا ت، 464/3)، يَظهر أنّ ابن السراج عدّ قلبَ الكلام أحسنَ حالاتِ وضعِ الكلام في غيرِ مَوضعهِ بشرطِ كونِه غَيرَ مُشكِلٍ، ويَبدو أنّه عنَى بـ(غير مشكل) كونَ التركيبِ غيرَ مُشكلٍ في المعنى. فالذي دعمَ هذه الظاهرةَ وجعلَها سائغةً ومقبولةً في الكلامِ عدمُ الإشكالِ في المعنَى وكونُ الوظائف التركيبيّة للمفرداتِ معلومةً، لذلك نرى الدكتورَ تمام حسان يُعلِّلُ لهذهِ الظاهرةِ بقوله: "النصوص العربية تُهمِلُ الاعتمادَ على قرينةِ الحركةِ أحياناً فتُضحِّي بها لأنّ المعنى واضحٌ بِدونِها اعتماداً على غيرِها من القرائنِ اللفظيةِ والمعنويةِ". (2006، 233). لذلك جازَ عندَهم "نصبُ الفاعلِ ورفعُ المفعولِ عند عدمِ الالتباسِ، خَرَقَ الثوبُ المِسمارَ".(الحنفي: بلا ت، 808). " وقد أجاز هذا الشأنَ الناسُ في الكلام، فضلا عن الشعر، وأجازوا أعطي الدرهمُ زيداً فجعلوا الدرهم آخذاً لزيد والوجه أعطي زيدٌ الدرهمَ، لأنه القابض له، ولكن هذا لا يُشكِل." (التميميّ: بلا ت، 182). وفيما يخصّ آراءَ العلماءِ ومذاهبَهم، ذكرَ صاحبُ الارتشافِ أنّ "في قلبِ الإعرابِ ثلاثة مذاهب: أحدها أنّه يجوز في الشعر، وفي الكلامِ اتّساعاً، واتّكالاً على فهم المعنى، حكى أبو زيد: إذا طلعَتِ الجوزاءُ انتصبَ العودُ في الحرباءِ، وحكى: أدخلتُ القلنسوةَ في رأسي. والثاني أنّه يجوز في الضرورةِ مطلقاً. والثالثُ يجوزُ في الضرورة على تأويل، وهو أنْ يُضمَّن الكلامُ معنىً يقتضيه." (الأندلسيّ: 1980، 2448-2449) ويَجدُرُ أنْ نشيرَ هنا إلى أنّ القلبَ قد وُجِدَ في الشعرِ وفي الكلامِ، مع محاولةِ تحديده بحدودٍ ووَضعِ قوانينَ له، وإجازتِه أو منعِه، وهذا يدلُّ على أنّ العادّاتِ اللغويّةَ لا يُمكِنُ دائماً احتواؤها أو وضعُ قواعدَ لها، والقلبُ كانَ عادّةً مِن تلك العادّات اللغويّة. والمذهبُ الذي أجازه في الشعرِ والكلامِ بشرطِ الاتّكالِ إلى فهمِ المعنى أقربُ المذاهبِ إلى الواقعِ اللغويّ.

آثرنا في دراستنا تسمية هذه الظاهرة بـ(القلب التركيبيّ) لأنّ هذا النوع المقصود بالدراسة يتمّ داخلَ التركيب الكلامي الذي يحكمه الإسنادُ، وهذه التسميةُ تتناسبُ مع الخطّة التي ننوي بناءَ الدراسةِ عليها، فنحاول دراسةَ هذه الظاهرةِ على أساسِ توزيعِها بين عناصرِ التركيبِ مِن فاعلٍ ومفعولٍ بهِ واسم جرور.

المبحث الثاني: القلب التركيبيّ في الشعر العربيّ وفي كلام العرب:

أوّلاً: بين الفاعل أو نائبه والمفعول:

جاء في كتاب (التذييل والتكميل) عن تبادُلِ الإعراب بين الفاعلِ والمفعول أنّه "قد يجوز أن يتبادلا ،يعني الفاعل والمفعول، الإعرابَ، وذلك في موضعين: أحدهما: أن يكون كل واحد منهما فاعلًا من جهة المعنى، نحو: ضارب زيد عمرًا. والثاني: أن يكون مفهومًا من جهة المعنى، نحو: خَرَقَ الثوبُ المسمارَ، وكَسَرَ الزجاجُ الحجرَ." (الأندلسي: 1997، 282/6).

فإسنادُ الخرقِ إلى الثوبِ وجعلهُ فاعلاً، وجعلُ المسمارِ مفعولاً، مع كونه فاعلاً في المعنى مُنافٍ للواقعِ، ولكن عدمُ الإشكالِ والاتّكاءُ إلى المعنى لمعرفةِ الفاعل من المفعول جعلَ ذلك سائغاً وجائزاً في الكلام. أي أنّ مخالفةَ قواعدِ النحو لم تجعلِ العبارةَ مرفوضة في كلام العرب، وهذا الأمرُ يُحيلُنا إلى مبدأ (القواعديّة والمقبوليّة) في الدراسات اللسانيّة الحديثة فقد تكون الجملةُ صحيحةً من جهةِ المعنى وتكون في الوقت نفسه مخالِفةً للقواعد النحويّة، والعكسُ بالعكسِ، ويكون الفيصلُ في ذلك كلِّه ثقافةَ الفرد والمجتمعِ. (يُنظَر: بول: 2009، 41-44. و: غلفان: 2010، 37).

ومثّل سيبويه للقلب بين نائب الفاعل والمفعول بقولهم: (أُدخِلَ فُوُه الحَجرَ)، وقال عن ذلك: "وأمّا قوله: أُدْخِلَ فُوهُ الحَجَرَ، فهذا جرى على سَعة الكلام " والجيِّد أُدخِلَ فاه الحجرُ." (1988، 181/1). وهذا "يعني أنه كان الوجه وحقيقة الكلام أن يقال: (أُدخِلَ فاه الحجرُ)، وذلك أن الحجر والفم مفعولان، أحدهما فاعل بالآخر، والحجر هو الفاعل، لأنه الداخل الفم، فإذا رددناه إلى ما لم يسمّ فاعله أُقيمَ الذي كان فاعلا في المعنى مُقامَ الفاعل، وهو الحجر، كما قال: (أعطي زيد درهما)، فإذا قلت: (أدخل فوه الحجر) فقد أقمت الفم مقام الفاعل، وهو مفعول في المعنى." (السيرافي: 2008، 36/2)، وذلك "إنما حقيقته أن الحجر أدخل في الفم" (البغدادي:1414، 2، 326). والمقصودُ بسعةِ الكلام "تعدُّد النصوص النثريّة التي قعدَ عليها اللغويّون القواعدَ النحويّةَ، أو استعملوها نظيراً لشاهدٍ نحويّ آخَر." (حريرات:2016،1).

ومِثلُه في الشعر (المبرد: 1997، 290/1، البغدادي: 1997، 271/9) : ومع ذلك كلِّه يبقى أمرٌ يَلفتُ النظرَ، وهو أنّ البيت السابق الذي أورده اللغويون والنحويون، وجعلوه شاهداً على نصب الفاعل ورفع المفعول، ليس في الحقيقة كما أوردوه في مؤلَّفاتِهم، فالبيت كالآتي في ديوان الأخطل بتحقيقينِ مختلفينِ: (ناصر الدين: 1994، 109، السكريّ: 1996، 154):

على العِياراتِ هَدَّاجُونَ قد بَلَغَتْ

نَجْرانَ أو حُدِّثَتْ سَوآتِهم هَجَرُ

وعلى هذا لا يكون في البيت شاهدٌ على مسألة نصب الفاعل ورفع المفعول، لأنّ (حُدِّثَ) فعل مبنيّ على ما لم يُسَمَّ فاعلُه، وهو فعل متعدّ إلى أكثرَ من مفعول، وبعد بنائه للمجهول جُعِلَ أحدُ المفعولينِ نائباً للفاعل وهو قوله (هجرُ) وبقي الآخَرُ منصوباً على أنّه مفعول به وهو قوله (سوآتِهم). فالسؤالُ الذي يطرقُ الأذهان هنا، لماذا جيء بالبيت الشعري برواية مختلفة، أ أرادوا اختلاق شاهد شعري على تلك المسألة مع وجودِ أبياتٍ أخرى كثيرة فيها القلبُ أم هذا من التحريف الذي كثُرَ في رواية الأشعارِ؟

مثل القنافِذِ هَدَّاجُون قد بَلَغَتْ

نجرانَ أو بَلَغَت سَوْءاتِهم هَجَرُ

"البيت للأخطل النصراني من قصيدة هجا بها جريرا. شبّه قوم جرير بالقنافذ لمشيهم بالليل للسرقة والفجور. والهدجان: مشي في ارتعاش، والبيت شاهد على إعطاء الفاعل حركة المفعول، والمفعول حركة الفاعل، عند أمن اللبس، كما في قولنا «خرق الثوبُ المسمارَ» فمِن حقّ نجران وهجر النصب، والسوءات الرفع ولكنه خالف ذلك، ولعلّ ذلك للضرورة. "(شُرّاب: 2007، 464/1). فـ" جعل هجر كأنها هي البالغة، وهي المبلوغة في المعنى " (الفارسيّ: 1988، 108) فهو " يريد بلغت سوءاتُهم هجَرَ." (القاضي الجرجاني: بلا ت، 469). لكنّ الذي أجازَ ذلك أنّه "إذا كان معنى الكلام يميّز بين الفاعل والمفعول، جاز في الشعر كثيرًا أن ينصب الفاعل ويرفع المفعول، وجاز في الكلام قليلا" (الشاطبي: 2007، 543/2). فـ" قد حملهم ظهور المعنى على إعراب كل من الفاعل والمفعول به بإعراب الآخر؛ كقولهم: "خرق الثوبُ المسمارَ" (الأشموني: 1998، 425/1).

وقال ابن مقبل (1962: 79) :

ولا تَهَيَّبُني المَومَاةُ أركَبُها إذا تجاوبَتِ الأصداءُ بالسَّحَرِ

"يُقالُ: تهيّبتُ الطريقَ وتَهيَّبَني الطريقُ، بِمعنًى، وهذا مِن الأضداد (...) وهذا عندي ممّا يُقلَبُ، لأنّ اللبسَ يُؤمَنُ في مِثله، فيقالُ: تَهيّبَني الطريقُ، لأنّه معلومٌ أنّ الطريقَ لا تتهيّبُ أحداً، فإذا جاء ما يمكن اللبسُ فيه لم يَكنْ الفاعلُ بتأويلِ المفعول، والمفعول بتأويل الفاعل، ألا ترى أنّه لا يَسوغُ لقائلٍ أنْ يقولَ: ضَربَني عبدُاللهِ وهو يريدُ ضربتُ عبدَاللهِ، لأنّ في هذا أعظَمَ اللبسِ، والقلبُ معروف في كلام العرب عند بيانِ المعنى." (الأنباريّ: 1987، 99- 100). لذلك عدَّ العلماءُ واللغويّون التركيب الفعليّ في قول ابن مقبل (لا تهيَّبُني المومَاةُ) كلاماً مقلوباً جُعِلَ فيه الفاعلُ مفعولاً والمفعولُ فاعلاً لِعدمِ الالتباس وكون الفاعلِ والمفعولِ معلومينِ من حيثُ المعنى، وأصلُ الكلامُ فيه (لا أتهيَّبُ المومَاةَ) وهو ما يفتخرُ به الشاعرُ في بيتِه.

وجاء في قول المجنون (المرزبانيّ: بلا ت، 29):

يَضُمُّ إليَّ الليلُ أَطْفالَ حُبِّها كَمَا ضَمَّ أزْرارَ القَمِيصِ البَنائقُ

"وهذا من المقلوب: أراد كما ضمّ أزرارُ القميص البنائقَ، ومثل هذا كثير، فجعل المجنون ما يأتيه فى ليله ممّا عزب عنه فى نهاره كالأطفال الناشئة" (المرزبانيّ: بلا ت، 29). "وَيُرْوَى: أَثْناء حُبِّهَا؛ وَيُرْوَى: أَبناء حُبِّهَا؛ وَأَرَادَ بالأَطفال الأَحزان الْمُتَوَلِّدَةَ عَنِ الْحُبِّ؛ قَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ: وَهَذَا مِنَ الْمَقْلُوبِ لأَن الأَزرار هِيَ الَّتِي تضُم البَنائقَ، وَلَيْسَتِ البنائقُ هِيَ الَّتِي تَضُمُّ الأَزرارَ، وَكَانَ حَقُّ إِنْشَادِهِ: كَمَا ضمَّ أزرارُ القميصِ الْبَنَائِقَا" (ابن منظور: 1414هـ، 27/10 فصل الباء). ففي هذا التركيب أيضاً (ضَمَّ أَزْرارَ القَمِيصِ البَنائقُ) جُعِلَ الفاعلُ (أزرار القميص) مفعولاً، والمفعولُ (البنائق) فاعلاً.

ثانياً: بين المفعولين:

التركيب الذي رصدناه في هذه الدراسة، كان أحدُ المفعولينِ فيه مضافاً إليه والآخَرُ منصوباً لفظاً، ومِن ذلك قول الشاعر الذي لم نجد أحداً يَنسبهُ إلى قائل معيّن وهو من شواهد سيبويه (1988، 181/1):

ترى الثورَ فيها مُدخِلَ الظلِّ رأسَه وسائرهُ بادٍ إلى الشمسِ أجمعُ

"أَرَادَ مدخلًا رَأسَه الظلَّ فأضاف الظلَّ إِلَيْهِ وَنصبَ رَأسَه على الْمَفْعُول بِهِ" (الفراهيديّ: 1995، 127)"، "فجعل الظلَّ يدخل الرأسَ، وإنَما يجوز أن يقال: مُدخِل رأسِه الظلَّ، فقلبَ لأنّه لا يُشكِل" (التميمي : 1981، 182). "وَكَانَ الْوَجْه أَن يُضيف مدْخل إِلَى الرَّأْس." (الفرّاء: بلا ت، 80/2، البغدادي: 1997، 235/4)، " فَإِنَّهُ أَرَادَ بِهِ مدْخل رَأسه الظل، فَقلب الْكَلَام كَمَا يُقَال: أدخلت الْخَاتم فِي إصبعي وَحَقِيقَته إِدْخَال الإصبع فِي الْخَاتم."(الحريريّ: 1998، 11). والشاعرُ في بيتِه "جعلَ الظلَّ مفعولًا على السعةِ وأَضافَ إليهِ والنحويونَ يجيزونَ مثلَ هذَا في غيرِ ضرورةٍ." (ابن السرّاج: بلا ت، 464/3). يَظهر في التركيب (مُدخِلَ الظلِّ رأسَه) أنّ اسم الفاعل (مُدخِل) مأخوذ من الفعل (أدخلَ) ونصب مفعولينِ، وتقدير الكلام (أدخلَ الثورُ رأسَه الظلَّ)، وعند القلب صار (أدخلَ الثورُ الظلَّ رأسَه)، لذلك عدَّ العلماءُ هذا الكلامَ مقلوباً، إذ جُعِلَ فيه المفعولُ الأوّل (رأسَه) مفعولاً ثانياً، وجُعلَ المفعول الثاني (الظلّ) مفعولاً أوّلا، فالرأس هو الذي يدخل في الظلّ وليس العكس.

ثالثاً: بين الفاعل و الاسم المجرور:

وردَ القلبُ التركيبيّ بين الفاعل والاسم المجرور في قول الشاعر (الأنباري: 1987، 145):

إنَّ سِراجاً لَكريمٌ مَفْخَرُهُ تَحْلَى بهِ العينُ إذا ما تَجْهَرُهُ

فالتركيبُ الفعليّ (تَحْلَى به العينُ) وقعَ فيه قلبٌ بين الفاعل الحقيقيّ للفعل (حلي) وهو الضمير العائد على (سراج) المذكور في أوّلِ البيتِ والاسم المجرور بحرف الجرّ (الباء) وهو لفظ (العين)، وأصلُ الكلام قبل القلبِ (يَحلَى سراجٌ بالعينِ)، وقال الفرّاءُ عنه: "والعينُ لا تَحْلَى بهِ، إنّما يَحْلَى هو بِها." (1983، 99/1)، ويبيّنُ سببَ ذلك في موضعٍ آخَرَ قائلاً: "لأنّك تقولُ حَلِيْتَ بِعَيني، ولا تَقولُ حَلِيَتْ عَيني بك إلاّ في الشِعر." (الفرّاء: 1983، 132/1). وقالَ الفارابيّ فيه: "وهذا من المقلوب،

والمعنى يحلَى بالعينِ." (2003، 94/4، الجوهري: 1987، 2318/6). يَحْسُنُ أنْ نُشيرَ في هذا السياقِ إلى أنّ الكلامَ، على الرَّغمِ مِن كونهِ كلاماً مقلوباً، نَلمَحُ فيه شيئاً مِن المعنى العميق الذي لرُبَّما قصده الشاعرُ بِقلبِ الكلامِ ولم يَذكُرْهُ العلماءُ واللغويّون، ويَتمثَّلُ ذلك في أنّ الشاعر أرادَ أنْ يبلغَ بالمَدحِ مَبلَغاً ما كان لِيَبلُغَه لولا قلبُ الكلامِ، فنرى أنّ (تَحلَى به العينُ) أقوى وأبلغُ مِن (يحلى هو بالعينِ)، فكأنّ الشاعرَ يريدُ أنْ يقولَ إنّ كلَّ عينٍ ترى هذا الممدوحَ تَحْلَى برؤيَتِه، وكانتْ وسيلةُ الشاعرِ في تحقيق ذلك المعنى قلبَ الكلامِ.

وجاء في المثَلِ "(إذا طلعتِ الجوزاءُ انتصبَ العُودُ في الحرباءِ)، يريدون انتصبَ الحرباءُ في العودِ وذلك من شدّةِ الحرّ." (الأنصاريّ: 1981، 409)، و"هو من المقلوبِ." (ابن سيده: 1996، 308/2)، " وذَلِكَ أَن الحرباء ينْتَصب على الْحِجَارَة وعَلى أجذال الشّجر، يسْتَقْبل الشَّمْس فَإِذا زَالَت زَالَ مَعهَا مُقَابلا لَهَا." (ابن سيده: 2000، 314/3). ففي هذا التركيب النثري وقعَ القلبُ بين الفاعل الحقيقيّ (الحرباء) وبين الاسم المجرور (العود). "وجازَ التقديمُ والتأخيرُ لوضوحِ المعنَى." (المرتضى: 1954، 216). ويبدو لنا أنّ سببَ القلبِ في هذه العبارةِ صُنعُ كلام مسجوعٍ مُتناسِقٍ، لأنّ جملةَ الشرط تنتهي بلفظة (الجوزاء)، واللفظةُ المناسبةُ لها من حيث الموسيقى لفظةُ (الحرباء)، ويتحقَّقُ هذا الانسجامُ والتناغمُ بجَعلِ (العود) فاعلاً، وجَعلِ (الحرباء) مجروراً في جوابِ الشرط.

ومِن المقلوب أيضاً قولُ الشاعر: "قَبْلَ دُنُوِّ الأُفُقِ مِن جَوزائِه" (يعقوب: 1996، 16/9)، "أي قبل دنو الجوزاء من الأفق" (تيمور باشا: 1950، 71)،فالقلبُ في هذا التركيب حصلَ بينَ المضاف إليه (الأفق) وبين الاسم المجرور (جوزائه)، وحينما نَرُدُّ التركيبَ إلى شكله قبل القلبِ يَصيرُ (قبلَ دنوّ الجوزاءِ مِن الأفُقِ)، وهذا يدعَمُه المعنى،لأنّ الشاعرَ "يُرِيدُ: قَبْلَ طُلُوعِ الْجَوْزَاءِ; لِأَنَّ الطُّلُوعَ وَالْغُرُوبَ هُمَا عَلَى الْأُفُقِ." (ابن فارس: 1979، 115/1)، وقال عنه صاحبُ الموازنةِ: "والجوزاء إذا دنت من الأفق فقد دنا الأفق منها، وليس هذا من القلب المستكره." (الآمديّ: 1994، 218/1، الخفاجيّ: 1982، 116). وبذلك نُدرِكُ أنّ لفظَ (جوزاء) فاعل معنوي للمصدر (دنوّ) وقد أُضيفَ هذا المصدرُ إلى فاعِلِه، وجُعِلَ مَكانَه ما كان اسماً مجروراً بحرف الجرّ (مِن). وهنا نرى أنّ سببَ هذا القلب قد يكون شكليّاً لفظيّاً لمراعاة القافية.

رابعاً: بين المفعول والاسم المجرور:

التركيبُ الأكثرُ شيوعاً والأكثرُ تداولاً في كتب اللغة و الأدب لهذا النوع من القلبِ قولُهم: " اعرِضْ ناقتَك على الحوضِ." (اليمنيّ: 1999، 4492/7)، وجاء في الصحاح "وعَرَضْتُ البعيرَ على الحَوْضِ، وهذا من المقلوب، ومعناه عَرَضْتُ الحَوْض على البعير." (الجوهريّ: 1987، 1082/3)، "وإنما الحوض يُعرَضُ على الناقة، هل (كذا) تختار الشرب منه أو(كذا) لا، ولا معنى لعرض الناقة عليه، لأنه لا خبرة له في ذلك، فكان عرض الحوض على الناقة هو الأصل". (البغدادي:1414هـ،

326/2). فالقلبُ في هذا التركيب واقعٌ بينَ المفعول (الناقة) أو (البعير) والاسم المجرور (الحوض)، وفي الحقيقةِ لا نجدُ أمراً معنوياً ولا شأناً شكليّاً متعلّقاً بالموسيقى الشعريّة في هذا القلبِ، وهذا يؤكّدُ كونَ القلبِ في غالب الأحيانِ عادةً لغويّةً مارسَها المتكلّمون في المستوياتِ المختلفةِ، ويَحسنُ أنْ نُشيرَ في هذا السياقِ أنّ القلبَ موجودٌ أيضاً في اللغةِ الكرديّة، فيقولون: (لا يدخلُ الحذاءُ في قَدَمي) مع أنّ القدمَ هي التي تدخلُ في الحِذاء، و يقولون أيضاً: (لا يدخلُ الخاتم في إصبعي) مع أنّ الإصبعَ هي التي تدخلُ في الخاتَمِ. وفي إطارِ البحثِ عن سببِ هذهِ الظاهرةِ في اللغةِ العربيّة، قد يكونُ وجودُها في اللغة الكورديّة، كما وُجِدَ اللغة العربيّة، دليلاً على كونِها ظاهرةً لغويّةً إنسانيّةً يمارِسُها الإنسانُ في لغته، وقد تكونُ موجودةً في لغاتٍ أخرى، وهذا الأمرُ يستوجبُ دراساتٍ مقارِنةً شاملةً.

ينبغي لنا أنْ نذكرَ في نهايةِ هذا البحثِ أنّنا لم نُلِمَّ بكلّ الشواهدِ والنصوصِ التي ساقَها علماءُ اللغةِ والنحويّون والأدباءُ في مؤلّفاتِهم وبحثُوا فيها موضوع القلبِ، وذلك لأنّ غايتَنا هنا ربطُ هذه الظاهرةِ بالتركيب النحويّ، مع بيانِ الدافعِ الذي وقفَ وراءَها، ولم تكن غايتُنا إحصاءَ هذهِ الظاهرةِ في الموروث اللغويّ والأدبي لدى العرب.

نتائج البحث:

- يُقصَدُ بِقلبِ الكلامِ أو الكلامِ المقلوبِ إعطاءُ حكمِ لفظٍ للفظٍ آخَرَ، وإعطاءُ حكمِ اللفظ الآخر للفظِ، والمقصودُ بالحكمِ هو الحكمُ الإعرابي داخلَ التركيبِ، كأنْ يُجعَلَ الفاعلُ مفعولاً والفمعولُ فاعلاً مِن جهة الإعراب لا المعنى.

- يَسَّرَتْ وجودَ هذهِ الظاهرةَ في كلامِ العربِ قرينةُ الإعرابِ، فالذي دعمَ هذه الظاهرةَ وجعلَها سائغةً ومقبولةً في الكلامِ عدمُ الإشكالِ في المعنَى وكونُ الوظائف التركيبيّة للمفرداتِ معلومةً. فمرونةُ اللغةِ العربيّةِ فتحتِ البابَ أمامَ المتكلّم باللغةِ العربيّةِ للتصرُّفِ، وهذا ما سمّاه سيبويهِ (سعة الكلام).

- عَدَّ العلماءُ قلبَ الكلامِ مِن سَنَنِ العربِ في كلامِها، وهذا دليلٌ على كونِ القلبِ ظاهرةً منتشرةً وكثيرةً في كلام العربِ منذُ القديم.

- سمَّينا ظاهرةَ قلبِ الكلامِ في حبثِنا (القلبَ التركيبيّ) إذ إنّ هذا النوعَ مِن القلبِ يتمّ داخلَ التركيب الكلامي الذي يحكمه الإسنادُ.

- لم تُدرَسْ هذه الظاهرةُ دراسةً نحويَّةً تركيبيّةً فيما سبقَ، والإشارةُ إليها في المصنَّفاتِ موزَّعة بين كتبِ اللغةِ والمعجم والنحوِ والبلاغةِ.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

- الآمديّ أبو القاسم الحسن بن بشر (1994): الموازنة بين شعر أبي تمّام والبحتريّ، تحقيق: أحمد الصقر، مصر، القاهرة، مكتبة الخانجي ط1.

- ابن السرّاج أبو بكر محمّد بن سهل (بلا ت): الأصول في النحو، تحقيق: عبدالحسين الفتليّ، لبنان، بيروت، مؤسّسة الرسالة.

- ابن سيده أبو الحسن عليّ بن إسماعيل (2000): المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبدالحميد هنداويّ، لبنان، بيروت، دار الكتب العلميّة، ط1.

- ابن سيده أبو الحسن عليّ بن إسماعيل (1996): المخصّص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، لبنان، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، ط1.

- ابن فارس أحمد (1997): الصاحبي في فقه اللغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، الناشر: محمد عليّ بيضون، ط1.

- ابن فارس أحمد (1979): معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر.

- ابن منظور جمال الدين (1414هـ): لسان العرب، لبنان، بيروت، دار صادر، ط3.

- ابن يعيش موفّق الدين يعيش بن عليّ (بلا ت): شرح المفصَّل، مصر، إدارة الطباعة المنيريّة.

- الأزهريّ محمد بن أحمد (2001): تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، لبنان، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، ط1.

- الأشمونيّ عليّ بن محمد بن عيسى (1998): شرح الأشمونيّ على ألفيّة ابن مالك، لبنان، بيروت، دار الكتب العلميّة، ط1.

- الأندلسيّ أبو حيّان محمد بن يوسف (1998): ارتشاف الضرَب من لسان العرب، تحقيق: رجب عثمان محمد، مصر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1.

- الأندلسيّ أبو حيّان محمد بن يوسف (1997): التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تحقيق: حسن هنداوي، سوريا، دمشق، دار القلم، ط1.

- الأنصاريّ أبو زيد (1981): النوادر في اللغة، تحقيق: محمد عبدالقادر أحمد، دار الشروق، ط1

- باشا أحمد تيمور (1950): أوهام شعراء العرب في المعاني، مصر، دار الكتاب العربيّ، ط1.

- البغدادي عبدالقادر بن عمر (1414هـ): شرح أبيات مغني اللبيب، تحقيق: عبدالعزيز رباح- أحمد يوسف دقاق، لبنان، بيروت، دار المأمون للتراث، ط2،1.

- بول جفري (2009): النظرية النحويّة، ترجمة: مرتضى جواد باقر، لبنان، بيروت، المنظمة العربيّة للترجة.

- التميميّ أبو عبدالله محمد بن جعفر القزاز القيروانيّ (بلا ت): ما يجوز للشاعر في الضرورة، تحقيق: رمضان عبدالتواب – صلاح الدين الهادي، الكويت، دار العروبة.

- التهاونيّ محمد عليّ (1996): كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون.

- الجرجانيّ أبو الحسن عليّ بن عبدالعزيز القاضي (بلا ت): الوساطة بين المتنبيّ وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – عليّ محمد البجاوي، مطبعة عيسى بابي الحلبيّ.

- الجوهريّ أبو نصر إسماعيل بن حماد (1987): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطّار، لبنان، بيروت، دار العلم للملايين، ط4.

- الحريريّ القاسم بن علي بن محمد (1998): درّة الغواص في أوهام الخواص، تحقيق: عرفات مطرجي، لبنان، بيروت، مؤسّسة الكتب الثقافيّة، ط1.

- حريرات زكريا محمد (2016): أثر سعة الكلام في التقعيد النحويّ، الأردن، عمّان، دار زهدي، ط1.

- حسّان تمّام (2006): اللغة العربيّة معناها و مبناها، لبنان، بيروت، عالم الكتب، ط5.

- الحنفيّ أيوب بن موسى (بلا ت): الكليّات معجم في المصطلحات والفروق اللغويّة، تحقيق: عدنان درويش – محمود المصريّ، لبنان، بيروت، دار الرسالة.

- الخفاجيّ أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان (1982): سرّ الفصاحة، لبنان، بيروت، دار الكتب العلميّة، ط1.

- سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر (1988): الكتاب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مصر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط3.

- السيرافيّ أبو سعيد الحسن بن عبدالله (2008): شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدلي – عليّ سعيد عليّ، لبنان، بيروت، دار الكتب العلميّة، ط1.

- الشاطبيّ إبراهيم بن موسى (2007): المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، المملكة العربيّة السعوديّة، مكّة المكرمة، جامعة أم القرى، دار إحياء التراث الإسلاميّ، ط1.

- شُرَّاب محمد بن محمد حسن (2007): شرح الشواهد الشعريّة في أمات الكتب النحويّة، لبنان، بيروت، مؤسّسة الرسالة، ط1.

- العلويّ علي بن الحسين (1954): أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، ط1.

- غلفان مصطفى (2010): اللسانيّات التوليديّة، الأردن، إربد، علم الكتب الحديث، ط1.

- الفارابيّ إسحاق بن إبراهيم (2003): معجم ديوان الأدب، تحقيق: أحمد مختار عمر، مصر، القاهرة، مؤسّسة دار الشعب.

- الفارسيّ أبو عليّ الحسن بن أحمد (1988): كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب، تحقيق: محمود محمد الطناحي، مصر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1.

- الفراهيديّ الخليل بن أحمد (1995): الجمل في النحو، تحقيق: فخرالدين قباوة، ط5.

- الفراهيديّ الخليل بن أحمد (بلا ت): معجم العين، تحقيق: مهدي المخزوميّ – إبراهيم السامرائيّ.

- الفرّاء أبو زكريا يحيى بن زياد (بلا ت): معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي – محمد علي النجار – عبدالفتاح إسماعيل الشلبي، مصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط1.

- المبرد محمد بن يزيد (2003): الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، القاهرة، دار الشعبوالطباعة والنشر.

- مطلوب أحمد و الرفاعي أحمد الناصري (1980): أساليب بلاغيّة، الكويت، وكالة المطبوعات، ط1.

- اليمنيّ نشوان بن سعيد (1999): شمس العلوم ودواء كلام العب من الكلوم، تحقيق: حسين عبدالله العمريّ، سوريا، دمشق، دار الفكر، ط1.

پوختە:

ئەم توێژینەوەیە هەوڵێکە بۆ لێکۆڵینەوە لە دیاردەیەکی زمانەوانی لە زمانی عەرەبیدا کە تایبەتە بە ئەنجامدانی گۆرکینی ڕۆڵ لە نێوان وشەکاندا لە ناو ڕستەدا، بە جۆرێک کە بکەر یان جێگری بکەر دەکرێتە بەرکار و بەرکاریش دەکرێتە بکەر یان جێگری بکەر، ئەمەش وای لە توێژەر کرد دیاردەکە ناو بنێت (هەڵگێڕانەوەی سێنتاکسی).

توێژینەوەکە کار دەکات لەسەر دەرخستنی ئەم دیاردە زمانییە لە زمانی عەرەبیدا، ئەویش لە ڕێگەی دەقی شیعری وپەند وئەو نمونانەی فەرهەنگناسان وزانایانی زمانی عەرەبی ئاماژەیان پێکردووە، لە ڕووی شیکاریی زانستیانەی دیاردەکە وخستنەڕووی هۆکاری بوونی ئەم دیاردەیە لە خودی زماندا.

Abstract:

This research is an attempt to study a structural phenomenon in the Arabic language represented in the reversal of grammatical functions between the elements of the structure, such as making the subject or the agent's deputy an object, making the object an agent or agent's deputy, or making the agent in meaning a noun in the genitive case, and making the genitive case an agent. This prompted the researcher to name the phenomenon (structural reversal). The research works to highlight this linguistic phenomenon in the Arabic language in light of the poetic evidence and various examples cited by lexicographers and grammarians in their writings. The research analyzes this phenomenon structurally, and attempts to uncover the underlying reasons behind its existence in the Arabic language.